

# الناس

## عناصر الموضوع

٢١٢	مفهوم الناس
٢١٣	الناس في الاستعمال القرآني
٢١٤	الألفاظ ذات الصلة
٢١٧	تسمية سورة من القرآن باسم الناس
٢١٩	الغاية من خلق الناس
٢٢٢	فضل الله تعالى على الناس
٢٢٨	أصناف الناس
٢٣٢	صفات الناس
٢٣٦	حال أكثر الناس
٢٤١	اتباع الناس
٢٤٤	نداءات الله تعالى للناس
٢٤٩	الناس والجن

مفهوم الناس

أولاً: المعنى اللغوي

الناس من نوس، النون والواو والسين أصلٌ يدل على اضطرابٍ وتذبذب، وناس الشيء: تذبذب، ينوس، ويقولون: نُسْتُ الإبل: سُقْتُهَا<sup>(١)</sup>، النوس والنوسان: التذبذب، والناس يكون من الإنس ومن الجن، جمع إنس، أصله أناسٌ جمعٌ عزيزٌ أُذخِلَ عليه أل. وناس الإبل: ساقها، وأناسه: حركه، ونوسَ بالمكان تنويساً: أقام، والمنوس من التمر: ما اسود طرفه<sup>(٢)</sup>. ومما سبق يتبين أن كلمة الناس يدور معناها على الاضطراب، والحركة والتذبذب والإقامة، والسوق.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي

قال الراغب: «والناس قد يُدَكَّرُ ويراد به الفضلاء دون من يتناوله اسم الناس تجوزاً»، وذلك إذا اعتبر معنى الإنسانية وهو وجود الفضل والذكر وسائر الأخلاق الحميدة والمعاني المختصة به<sup>(٣)</sup>.

- وقال أبو هلال العسكري: «هم الإنس خاصة وهم جماعة لا واحد لها من لفظها»<sup>(٤)</sup>.  
وقال الطاهر بن عاشور: «الناس اسم جمع للبشر»<sup>(٥)</sup>.  
قال الشيخ الشعراوي: «هم الجنس المنحدر من آدم إلى أن تقوم الساعة»<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٥/ ٣٦٩، لسان العرب، ابن منظور ٦/ ٢٤٥.

(٢) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ص ٧٤٧.

(٣) المفردات ١/ ٤٢٢، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي ١/ ١٥٢٣.

(٤) الفروق اللغوية ص ٥٢٧.

(٥) التحرير والتنوير ١١/ ١٢٧.

(٦) تفسير الشعراوي ١/ ٣٨١٦.

## الناس في الاستعمال القرآني

وردت كلمة (ناس) في القرآن الكريم (٢٤١) مرة<sup>(١)</sup>.  
والصيغ التي وردت، هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
اسم جمع	٢٤١	﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ <sup>(٣)</sup> [الناس: ١-٣]

وجاءت كلمة (الناس) في القرآن على وجهين<sup>(٢)</sup>:

الأول: جميع الناس: ومنه قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَنَّهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣].

الثاني: فئة معينة من الناس أو أحد الناس بعينه: ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. أريد بالأولى: نعيم بن مسعود الأشجعي، وبالثانية: أبو سفيان وأصحابه من قريش وأهل مكة.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٧٢٦-٧٢٩، المعجم المفهرس الشامل، عبد الله جلغوم، باب النون ص ١٣٥٥-١٣٦٠.

(٢) انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ٤٤١-٤٤٣، بصائر ذوي التمييز، الفيروزآبادي، ١٣٩/٥-١٤٠، نزهة الأعين النواظر، ص ٦٠١-٦٠٥، عمدة الحفاظ، السمين الحلبي، ٢٣٢/٤-٢٣٣.

## الألفاظ ذات الصلة

## ١ العالمين

## العالمين لغةً

(علم) العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد، يدل على أثرٍ بالشيء يتميز به عن غيره، ومن الباب العالمون، وذلك أن كل جنس من الخلق فهو في نفسه معلم وعلم، وقال قوم: العالم سمي لاجتماعه، قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاحة: ٢]. قالوا: الخلائق أجمعون<sup>(١)</sup>.

## العالمين اصطلاحًا

أصناف الخلائق من الملائكة والجن والإنس دون غيرها، وقيل: عني به الناس وجعل كل واحد منهم عالماً<sup>(٢)</sup>، وقال ابن كثير: و(العالمين) جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله عز وجل<sup>(٣)</sup>.

## الصلة بين الناس والعالمين

بعد التأمل في التعاريف السابقة تبين أن لفظة العالمين تشمل الناس وغيرهم، باعتبار الناس جزءاً من هذا العالم، والناس من الموجودات والمخلوقات التي أوجدها الله تعالى وكلفها بالعبادة والطاعة، لكن لفظة العالمين أعم، والناس أخص.

## ٢ البشر

## البشر لغة

(بشر) الباء والشين والراء أصلٌ واحد يقصد به ظهور الشيء مع حسنٍ وجمال، فالبشرة ظاهر جلد الإنسان، والبشر: الإنسان.

## البشر اصطلاحًا

والبشر هم الخلق يقع على الأنثى والذكر والواحد والاثنتين والجمع<sup>(٤)</sup>. وإطلاق البشر على الإنسان اعتبارًا بظهور جلده من الشعر، بخلاف الحيوان الذي عليه

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ١٠٩/٤.

(٢) انظر: المفردات، الأصفهاني ص ٣٤٥.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ١/١٣١.

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٥٩/٤.

نحو صوف أو شعر<sup>(١)</sup>.

الصلة بين الناس والبشر:

سمي الناس بشرًا؛ لأنهم أحسن الحيوان هيئة، ويجوز أن يقال: إن قولنا بشر يقتضي الظهور، وسموا بشرًا لظهور شأنهم، وقولنا: الناس يقتضي النوس وهو الحركة، والناس جمع والبشر واحد<sup>(٢)</sup>.

### ٣ بنو آدم

بنو آدم لغةً

هذا مصطلح مركب من لفظة (بنو)، ولفظة (آدم) نعرف كلاً منهما بما يأتي:

بنو لغةً

قالوا: إنه جمع بنوة أو بنوة، والابن الولد، والجمع أبناء<sup>(٣)</sup>.

آدم لغةً

آدم: الأدم: الاتفاق، وآدم الله بينهما يآدم آدمًا، وآدم بينهما إيدامًا، فهو مؤدّمٌ بينهما، ويقال: بينهما أدمّةٌ وملحة، أي: خلطة.

وأديم كل شيء: ظاهر جلده، وأدمة الأرض: وجهها، وقيل: سمي آدم عليه السلام؛ لأنه خلق من أدمة الأرض، وقيل: بل من أدمة جعلت فيه<sup>(٤)</sup>.

بنو آدم اصطلاحًا

هم الناس<sup>(٥)</sup>، وبنو أبي البشر<sup>(٦)</sup>.

الصلة بين الناس وبنو آدم

مما سبق تبين أن هناك صلة بين الناس وبين بني آدم، وهي علاقة توضيح المعنى، فبنو آدم هم الناس والبشر، والناس ينسبون إلى أبيهم آدم عليه السلام، ولهذا يقال: الناس بنو آدم لأنهم منسوبون إليه<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ص ١٣٢.

(٢) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ص ١٠١.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٨٩/١٤.

(٤) انظر: العين، الفراهيدي ٨٨/٨.

(٥) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ص ١٣.

(٦) انظر: المفردات، الأصفهاني ص ١٤.

(٧) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ص ١٣.

٤ الثقلان

الثقلان لغةً

(ثقل) الثاء والقاف واللام أصلٌ واحدٌ يتفرع منه كلماتٌ متقاربة، وهو ضد الخفة، ولذلك سمي الجن والإنس بالثقلين، لكثرة العدد، وأثقال الأرض كنوزها.

قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]. ويقال هي أجساد بني آدم<sup>(١)</sup>.

الثقلان اصطلاحًا:

هم «الإنس والجن»<sup>(٢)</sup>.

الصلة بين الناس والثقلين

الثقلان أعم من الناس، والناس أخص، فالثقلان يعني الإنس والجن، والإنس تعني بني آدم دون الجن.

٥ الأنعام

الأنعام لغةً

والأنعام هم ما على ظهر الأرض من جميع الخلق، ويجوز في الشعر: الأنيم<sup>(٣)</sup>.

الأنعام اصطلاحًا

هم الجن والإنس<sup>(٤)</sup>.

الصلة بين الناس والأنعام

هناك علاقة واضحة بين اللفظتين فالأنام تفسير وبيان لمعنى لفظة الناس، فالأنام يقتضي تعظيم شأن المسمى من الناس<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ١/ ٣٨٢.

(٢) جامع البيان، الطبري ٢٢/ ٢٣.

(٣) انظر: العين، الفراهيدي ٨/ ٣٨٨.

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١٢/ ٣٧.

(٥) انظر: الفروق اللغوية، العسكري ص ٧٥.

يلهمنا الصواب باستخراج هذه الحكم نقول  
وبالله التوفيق:

أولاً: «إنه تعالى رب جميع المحدثات،  
ولكنه ههنا ذكر أنه رب الناس على  
التخصيص وذلك لوجوه:

❖ أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس  
في صدور الناس، فكأنه قيل: أعوذ  
من شر الموسوس إلى الناس بربهم  
الذي يملك عليهم أمورهم، وهو  
إِلَهُهُمْ ومعبودهم، كما يستغيث بعض  
الموالي إذا اعتراهم خطب بسيدهم  
ووالي أمرهم.

❖ أن أشرف المخلوقات في العالم هم  
الناس.

❖ أن الأمور بالاستعاذة هو الإنسان، فإذا  
قرأ الإنسان هذه صار كأنه يقول: يا رب  
يا ملكي يا إلهي» (٤).

ثانياً: بيان أن الخلق كلهم داخلون تحت  
الربوبية والملك، وأن الوسواس كما يكون  
من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: ﴿مِنَ  
الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] (٥).

ثالثاً: بيان المعاني المختلفة لكلمة  
الناس خاصة في سورة الناس، وفي ذلك رد  
على المستشرقين الذين قالوا: إن في القرآن  
الكريم تكرار خاصة أنه كرر لفظة الناس

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي ١/٤٩٠.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي  
ص ٩٣٧.

## تسمية سورة من القرآن باسم الناس

سورة الناس سورة مكية (١)، عدد آياتها  
ست آيات.

وقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه  
من طريق عائشة أن النبي صلى الله عليه  
وسلم: (كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة  
جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما:  
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ  
الْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم  
يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما  
على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل  
ذلك ثلاث مرات (٢).

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن  
عقبة بن عامر قال: قال لي رسول الله صلى  
الله عليه وسلم: (أنزل أو أنزلت علي آيات  
لم ير مثلهن قط المعوذتين) (٣).

حكمة تسمية السورة بهذا الاسم

إن تسمية سورة من سور القرآن باسم  
سورة الناس، واستقلالها بهذا الاسم لم يأت  
اعتباطاً بل جاء لحكمة نسأل الله تعالى أن

(١) انظر: الإتيان في علوم القرآن، السيوطي  
١٨/١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل  
القرآن، باب فضل المعوذات، ٦/١٩٠، رقم  
٥٠١٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة  
المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة  
المعوذتين، رقم ٨١٤.

أكثر من مرة في سورة الناس.

يقول الشعراوي: وقد وقف بعض المستشرقين عند كلمة ﴿النَّاسِ﴾، وأرادوا أن يدخلونا من خلالها إلى متاهات التشكيك في القرآن، وقالوا: إن القرآن فيه تكرار لا لزوم له.

وأهم سورة أخذها هؤلاء المستشرقون هي سورة ( الناس ) حيث يقول الحق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٦].

وهذا الجمع من المستشرقين فهموا أن المعنى لكلمة ( الناس ) في كل آية من آيات هذه السورة هو معنى واحد، ولكنهم لم يتمتعوا بملكة اللغة؛ ولم يلتفتوا إلى أن معنى كلمة ( الناس ) في كل موقع هو معنى مختلف وضروري؛ لأن الحق سبحانه أراد بكل كلمة في القرآن أن تكون جاذبة لمعناها، وأن يكون كل معنى جاذباً للكلمة المناسبة له.

وهكذا نجد الفرق بين أن يقول سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١].  
وأن يقول: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢].

و (الناس) في الآية الأولى هم المرَّبُّون،

والناس في الآية الثانية هم المَمْلُوكون لله فلا أحد يخرج عن قدرة الله في الأمور القهرية، وتأتي ﴿النَّاسِ﴾ في الآية الثالثة: ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٣].

لتؤكد أن الحق هو الإله المعبود بحق، وهو الذي يقينك مما ستأتي به الآية الرابعة: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤].  
والآية الخامسة: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥].<sup>(١)</sup>

(١) انظر: تفسير الشعراوي، ٥/٣٨١٦.

والاستخلاف في الأرض له ثمرات عديدة، منها: تنفيذ أحكام الله تعالى في الأرض، وهذا ما وضحه قوله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

قال الرازي: جعلناك تخلف من تقدمك من الأنبياء في الدعاء إلى الله تعالى، وفي سياسة الناس؛ لأن خليفة الرجل من يخلفه، وذلك إنما يعقل في حق من يصح عليه الغيبة، وذلك على الله محال.

والقول الثاني: إنا جعلناك مالكا للناس ونافذ الحكم فيهم، فهذا التأويل يسمى خليفة، ومنه يقال: خلفاء الله في أرضه، وحاصله أن خليفة الرجل يكون نافذ الحكم في رعيته، وحقيقة الخلافة ممتعة في حق الله، فلما امتنعت الحقيقة جعلت اللفظة مفيدة للزوم في تلك الحقيقة وهو نفاذ الحكم<sup>(٢)</sup>.

وبعد التأمل ودراسة الآيتين السابقتين يتبين أن هناك غايات عديدة من خلق الناس، وأهمها الاستخلاف على هذه الأرض، وغاية الاستخلاف هو تنفيذ حكم الله، وإقامة شرعه على الأرض والحكم بين الناس بالعدل، ومن خلال استقراء لفظه الناس في القرآن تبين أن لفظه الناس

## الغاية من خلق الناس

إن الله تعالى خالق الخلق، مدير الأمر، ذي الطول الشديد، بيده مقاليد السماوات والأرض ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾، خلق الناس ليحكم عديدة، أهمها:

### أولاً: الاستخلاف في الأرض

وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ لِمَا فُتُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

قال الإمام الطبري في تفسير الآية الأولى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: والصواب في تأويل قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: أي مَسْتَخْلِفٌ في الأرض خليفة، ومُصَيِّرٌ، فيها خلفاً، أي: خلفاً يَخْلُفُ بعضهم بعضاً، وهم ولد آدم الذين يخلفون أباهم آدم، ويخلف كل قرن منهم القرن الذي سلف قبله<sup>(١)</sup>.

(٢) مفاتيح الغيب ١/ ٣٨٦.

(١) انظر: جامع البيان ١/ ٤٥١.

رَبِّكُمْ الَّتِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿البقرة: ٢١﴾.

واختلَفَ من المراد بالناس هنا على قولين: أحدهما: الكفار الذين لم يعبدوه والقول الثاني: أنه عامٌّ في جميع الناس، فيكون خطابه للمؤمنين باستدامة العبادة، وللكافرين بابتدائها<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: التعارف

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿الحجرات: ١٣﴾.

يخبر تعالى أنه خلق بني آدم، من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله تعالى بث منهما رجالاً كثيراً ونساء، وفرقهم وجعلهم شعوباً وقبائل أي: قبائل صغاراً وكباراً، وذلك لأجل أن يتعارفوا؛ فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون والتوارث والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوباً وقبائل؛ لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ومعرفة الأنساب، ولكن الكرم بالتقوى؛ فأكرمهم عند الله

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٢٥/١.

المسبوقة بـ(بين) وردت في سياق الحكم والإصلاح.

### ثانياً: عبادة الله تعالى

يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ومعنى العبادة هي إظهار الخضوع للمعبود واعتقاد أنه يملك نفع العابد وضره ملكاً ذاتياً مستمراً، فالمعبود إله للعابد، فالحصر المستفاد من قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قصر الله علة خلق الإنس والجن على إرادته أن يعبدوه، أي إلا ليعبدوني وحدي، أي لا يشركوا غيري في العبادة، فهو رد للإشراك، وليس هو قصرًا حقيقياً.

وما ذكر الله الجن هنا إلا لتبنيه المشركين بأن الجن غير خارجين عن العبودية لله تعالى، وتقديم الجن في الذكر في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ للاهتمام بهذا الخبر الغريب عند المشركين الذين كانوا يعبدون الجن، ليعلموا أن الجن عباد الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وبعد بيان وتوضيح هذه الغاية المهمة، وهي عبادة الله تعالى يأتي النداء الرباني في كثير من الآيات القرآنية مؤكداً على هذه الغاية في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٧/٢٦.

تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيمًا  
بَصِيرًا ﴿[النساء: ٥٨].  
٣. إقام الصلاة.

يقول تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا  
الزَّكَاةَ وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ  
عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿[البقرة: ١١٠].  
٤. الصيام.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ  
عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِكُمْ لِمَلِكُمْ تَتَّقُونَ ﴿[البقرة: ١٨٣].

أتقاهم... وفي هذه الآية دليل على أن معرفة  
الأنساب مطلوبة ومشروعة؛ لأن الله جعلهم  
شعوبًا وقبائل، لأجل ذلك.

رابعًا: أداء الفرائض وحمل الأمانة:

يقول تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا  
وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا  
جَهُولًا ﴿[الأحزاب: ٧٢].

وقال ابن كثير: عن ابن عباس: الأمانة:  
الفرائض عرضها الله على السموات  
والأرض والجبال، إن أدها أثابهم، وإن  
ضيعوها عذبهم، فكرهوا ذلك وأشفقوا  
من غير معصية، ولكن تعظيمًا لدين الله ألا  
يقوموا بها، ثم عرضها على آدم فقبلها بما  
فيها<sup>(١)</sup>.

ومن أهم هذه الفرائض على سبيل المثال  
لا الحصر:

١. حج بيت الله.

يقول تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ  
إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ  
الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ  
عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴿[آل عمران: ٩٧].

٢. أداء الأمانة والحكم بالعدل والحق.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا  
الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/٤٨٨.

فضل الله تعالى على الناس

إن نعم الله على الناس لا تعد ولا تحصى، فإنه تعالى أسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، وأرسل للناس خير رسوله. وشرع لهم أفضل شرائعه، خلق آدم بيديه وأسجد له الملائكة، ما أعظمه من تكريم! وفضلُ الله على الناس كثير.

وسنقف على بعض وجوه هذا الفضل فيما يأتي.

أولاً: التكريم الإلهي

وقد ظهر ذلك في عدة صور، منها:

١. خلق آدم بيديه ونفخ الروح فيه.
٢. سجود الملائكة لآدم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وآدم عليه السلام هو أبو البشر، وتكريم آدم بالسجود له تكريم لذريته.

٣. القول الصريح بتكريم بني آدم والتفضل على الناس.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

[الإسراء: ٧٠].

ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [النمل: ٧٣].

«كرمهم تعالى بأن خلق أباهم آدم على صورة الرحمن، وجعل لهم ذلك بحكم الوراثة، وأن الولد سر أبيه، وفضلهم على الكثير، بأن جعل لهم من النعم ما يستغرق العدا<sup>(١)</sup>، والمقصود من ذلك بيان هذا التكريم لصورة آدم وجماله والحفاظ عليه، وعدم الاعتداء عليه.

٤. الخيرية ووصف الناس بها.

قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١].

«والمعنى أنكم كنتم في اللوح المحفوظ خير الأمم وأفضلهم، فاللائق بهذا أن لا تبطلوا على أنفسكم هذه الفضيلة، وأن لا تزيلوا عن أنفسكم هذه الخصلة المحمودة، وأن تكونوا منقادين مطيعين في كل ما يتوجه عليكم من التكليف»<sup>(٢)</sup>.

٥. اصطفاء الله الرسل من الناس.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مَنِ

(١) روح المعاني، الألويسي ١٢٧/١٥.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٢٤/١.

٢. نعمة الأكل.

يقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي  
الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ  
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

يقول ابن كثير: يبين أنه الرزاق لجميع خلقه، فذكر ذلك في مقام الامتنان أنه أباح لهم أن يأكلوا مما في الأرض في حال كونه حلالاً من الله طيباً، أي: مستطاباً في نفسه غير ضار للأبدان ولا للعقول، ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان، وهي طرائقه ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه من تحريم البحائر والسوائب والوصائل ونحوها مما زينه لهم في جاهليتهم<sup>(٤)</sup>،  
٣. نعمة التسخير.

لقد خلق الله الإنسان وجعله خليفةً على الأرض ليقوم على تنفيذ أحكام الله تعالى، وإنه سيعمر هذه الأرض بالتكاثر، واستغلال مواردها، وكان من نعم الله الكبرى عليه تسخير الكون للناس جميعاً لقضاء وأداء هذه المهمة العظيمة، وهي الاستخلاف على الأرض.

ومن أهم الأشياء التي تم تسخيرها للناس:

❁ تسخير الشمس والقمر.

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ  
وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/٤٧٨.

الْمَلَكِكَةَ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ابْنُ اللَّهِ  
سَكِيمٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥].

تبين الآيات في ختام السورة بأن الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم لتبليغ الرسالة؛ أي: ليس بعثه محمداً أمراً بدعياً<sup>(١)</sup>.

ثانياً: الإنعام والتسخير

إن العلاقة القائمة بين الإنسان والكون علاقة قائمة على المصاحبة، وهذه العلاقة قائمة على أساس تسخير الله تعالى هذا الكون للإنسان، واستغلاله خير استغلال، والاستفادة منه وإعانتته على نشر دعوة الله تعالى، وقد أسبغ الله على الناس نعمه ظاهرة، وباطنة، ونعمه كثيرة لا تعد ولا تحصى، ولعل هذا المطلب يبين بعضاً من نعم الله تعالى على الناس.

١. نعمة الخلق والرزق.

يقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ  
اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَافٌ تُؤَفَّفُونَ﴾  
[فاطر: ٣].

ومعنى هذا الذكر الشكر<sup>(٢)</sup>، والخطاب عامٌ للجميع؛ لأن جميعهم مغمورون في نعمة الله<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٩٨/١٢.

(٢) انظر: المصدر السابق ١٤/٣٢٢.

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري ٣/٦٠٦.

[إبراهيم: ٣٣].

واعلم أن الانتفاع بالشمس والقمر عظيم، وقد ذكره الله تعالى في آيات منها قوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦].

ومنها قوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

وقوله: ﴿دَابِّيْنٍ﴾ معنى الدؤب في اللغة مرور الشيء في العمل على عادة مطردة، يقال: دأب يدأب دأبًا ودؤبًا، وقال المفسرون: قوله: ﴿دَابِّيْنٍ﴾ معناه يدأبان في سيرهما وإنارتهما وتأثيرهما في إزالة الظلمة وفي إصلاح النبات والحيوان، فإن الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل، ولولا الشمس لما حصلت الفصول الأربعة، ولولاها لاختلفت مصالح العالم بالكلية<sup>(١)</sup>.

تسخير الليل والنهار.

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢].

يتعاقبان خلفه لمنامكم واستراحتكم وسعيكم في مصالحكم من الإسامة، وتعهد حال الزرع ونحو ذلك، والشمس والقمر يدأبان في سيرهما وإنارتهما أصالة وخلافة، وأدائهما ما نيظ بهما من تربية الأشجار

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ١٢/٢٦٤.

والزرع، وإنضاج الثمرات وتلوينها، وغير ذلك من التأثيرات المترتبة عليهما بإذن الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

تسخير البحر لسير الفلك.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفَلَكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢].

يقول القرطبي: «يعني أن ذلك فعله وخلقه وإحسان منه وإنعام»<sup>(٣)</sup>.

تسخير البحر لتأكل منه لحمًا طريًا.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَكْرِى الْفَلَكَ مَوَآخِرَ فِيهِ وَلِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

ومعنى قوله تعالى ذكره: والذي فعل هذه الأفعال بكم، وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم، الذي سخر لكم البحر، وهو كل نهر ملحًا ماؤه أو عذبا ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا﴾ وهو السمك الذي يصطاد منه، ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ وهو اللؤلؤ والمرجان<sup>(٤)</sup>.

تسخير الأنهار.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ

(٢) روح المعاني، الألويسي ١٤/١٠٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٦/١٦٠.

(٤) جامع البيان، الطبري ١٧/١٨٠.

ثالثاً: الإرشاد والتبيين

إن الله تعالى قد أخذ العهد من الخلق وهم في عالم الذر أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

تجلت رحمة الله وعظمته، وفضله على الناس بتذكيرهم، بعهدهم الأول مع الله، بالإرشاد، وتبينهم لهذا العهد من خلال إرسال الرسل.

فضل الله على الناس بالإرشاد

١. الإرشاد بإرسال الرسل.

ويقول تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَبِمَا كَرَّمْتَ بِنَفْسِكَ وَمَا أُصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَبِمَا كَرَّمْتَ بِنَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكُنَّ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩].

يبين الله تعالى في الآية السابقة أنه أرسل الرسل للناس، وذلك لأن مهمة الرسل إرشاد الناس إلى الصراط المستقيم، ويعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾، إنما جعلناك يا محمد رسولاً بيننا وبين الخلق، تبلغهم ما أرسلناك به من رسالة، وليس عليك غير البلاغ وأداء الرسالة إلى من أرسلت، فإن قبلوا ما أرسلت به فلا تنفسهم، وإن ردوا فعليها، وهو مجازيك ببلاغك

بِهِ مِنَ النَّعْمَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْآتَنَهَرَ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

وسخر لكم الأنهار، أي: دلالها، تجري حيث تريدون، وتركبون فيها حيث تشاؤون<sup>(١)</sup>.

• تسخير ما في الأرض.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].

• تسخير ما في السموات وما في الأرض.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرًا وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

يقول القرطبي: «ذكر نعمه على بني آدم، وأنه سخر لهم ﴿مَّا فِي السَّمَوَاتِ﴾ من شمس وقمر ونجوم وملائكة تحوطهم وتجري إليهم منافعهم. ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ عام في الجبال والأشجار والثمار وما لا يحصى. ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ﴾ أي: أكملها وأتمها»<sup>(٢)</sup>.

مما سبق يتبين أن نعمة التسخير هي من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الناس.

(١) زاد المسير، ابن الجوزي ٤/ ٣٦٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٧٢.

ما وعدك، ومجازيهم ما عملوا من خير وشر، جزاء المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

٢. الإرشاد بإنزال الكتب والحكم بما فيها. يقول تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَافِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

يقول الطبري: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾ إنا أنزلنا إليك يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾، يعني: القرآن ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾، لتقضي بين الناس فتفصل بينهم ﴿بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣. الإرشاد ببيان الحق.

يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨].

يقول تعالى أمرًا لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه، أن يخبر الناس أن الذي

جاءهم به من عند الله هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك، فمن اهتدى به واتبعه فإنما يعود نفع ذلك الاتباع على نفسه، ومن ضل عنه، فإنما يرجع وبال ذلك عليه<sup>(٣)</sup>.

٤. الإرشاد بالموعظة الحسنة.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

في هذه الآية يذكر القرطبي رحمه الله أن الموعظة هنا بمعنى الوعظ وهذه المواعظ والحكم جاءت من القرآن الكريم<sup>(٤)</sup>.

فضل الله على الناس بالتبيين

إن رحمة الله بعباده تظهر بإرسال الرسل، وإنزال الكتب ليبين للناس طريق الهدى، وإن التبيين جاء في كتاب الله تعالى لغرس التقوى، وتذكير الناس بواجباتهم وعهودهم مع الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وطرق التبيين في كتاب الله عديدة منها:

١. التبيين بإنزال الكتب.

يقول تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

يقول الشعراوي: ومن هنا سمينا الكتب

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/٣٠٠، ٣٠١.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٨/٣٥٣.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٨/٥٦١.

(٢) جامع البيان ٩/١٧٥.

بلاغ للناس، أبلغ الله به إليهم في الحجة عليهم، وأعذر إليهم بما أنزل فيه من مواظمه وعبره ﴿وَلْيَسْأَلُوا اللَّهَ﴾ يقول: وليتذروا عقاب الله، ويحذروا به نقماته، أنزله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup>.

وهذا القرآن بلاغ للناس، أي: هو بلاغ لجميع الخلق من إنس وجان<sup>(٣)</sup>.

٣. التبيين بضرِب الأمثلة.

يقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْأَلُهمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ [الحج: ٧٣].

وضرب المثل أسلوب من أساليب القرآن للبيان والتوضيح وتقريب المسائل إلى الأفهام، ففي موضع آخر يقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦].

وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣].

فهذا كثير في كتاب الله، والمثل يضرب ليُجَلِّي حقيقة، والضرب هنا لا يعني إحداث أثر ضار بالمضروب، إنما إحداث أثر نافع إيجابي<sup>(٤)</sup>.

وتبين الآية السابقة هذا المثل الذي

(٢) جامع البيان، الطبري ١٧/٥٧.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/٥٢٣.

(٤) انظر: تفسير الشعراوي ١٢/٧١٣٧.

المتزلة ذكراً، لكن الذكر يأتي تدريجياً وعلى مراحل، كل رسول يأتي ليذكر قومه على حسب ما لديهم من غفلة، وإذا أطلقت كلمة الذكر انصرفت إلى ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه الكتاب الجامع لكل ما نزل على الرسل السابقين، ولكل ما تحتاج إليه البشرية إلى أن تقوم الساعة.

كما أن كلمة كتاب تطلق على أي كتاب، لكنها إذا جاءت بالتعريف (الكتاب) انصرفت إلى القرآن الكريم، وهذا ما نسميه (علم بالغلبة) فجاء القرآن بالأصول الثابتة، وترك للرسول صلى الله عليه وسلم مهمة أن يبينه للناس، ويشرحه ويوضح ما فيه<sup>(١)</sup>.

٢. التبيين بالإنداز والبلاغ.

يقول تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِئِ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أُولَمْ نَكُفِّرُوا بَعْدَ مَا لَكُم مِّنْ ذَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

ويقول تعالى: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

تبيِّن لنا الآيات السابقة أن الإنداز والبلاغ من الأشياء المبينة لمنهج الله ودعوته، فقوله تعالى: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾.

يقول الطبري رحمه الله: هذا القرآن

(١) انظر: تفسير الشعراوي ٩/٤٩١٢-٤٩١٤.

## أصناف الناس

إن الله خالق الخلق، فكان منهم المؤمن والكافر، والبر والفاجر.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨].

والناس أصناف ثلاثة، منهم: المؤمنون وهم أحباب الله تعالى، ومنهم الكافرون، ومنهم المنافقون.

أولاً: المؤمنون:

وردت لفظة الناس في كتاب الله تعالى مرات عديدة، ولها وجوه ومعاني مختلفة، فقد جاءت بمعنى المؤمنين على النحو الآتي:

١. المؤمنون من الصحابة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

يعني: وإذا قيل لهؤلاء الذين وصفهم الله ونعتهم بأنهم يقولون: ﴿ءَامِنًا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

صدقوا بمحمد وبما جاء به من عند الله، كما صدق به الناس. ويعني بالناس المؤمنين الذين آمنوا بمحمد ونبوته وما جاء به من عند الله<sup>(٢)</sup>.

٢. المؤمنون في أول الخلق.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١/ ٢٩٢.

ضربه الله لقبح عبادة الأوثان، وبيان نقصان عقول من عبدها، وضعف الجميع، فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ هذا خطاب للمؤمنين والكفار: المؤمنون يزدادون علماً وبصيرة، والكافرون تقوم عليهم الحجة.

﴿ضَرِبَ مَثَلٌ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ﴾ أي: ألقوا إليه أسماعكم، وتفهموا ما احتوى عليه، ولا يصادف منكم قلباً لاهية، وأسماعاً معرضة، بل ألقوا إليه القلوب والأسماع.

وهو هذا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ شمل كل ما يدعى من دون الله، ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ الذي هو من أحقر المخلوقات وأخسها، فليس في قدرتهم خلق هذا المخلوق الضعيف، فما فوقه من باب أولى.

﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ بل أبلغ من ذلك ﴿وَإِنْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ الشُّكُوبَ﴾ لا يَسْتَقْدُوا مِنْهُ ﴿وهذا غاية ما يصير من العجز﴾ ضَعْفَ الطَّالِبِ ﴿الذي هو المعبود دون الله﴾ وَالْمَطْلُوبِ ﴿الذي هو الذباب، فكل منهما ضعيف، وأضعف منهما من يتعلق بهذا الضعيف وينزله منزلة رب العالمين<sup>(١)</sup>﴾.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٥٤٦.

والمعنى ومن الناس من يبذل نفسه للهلاك ابتغاء مرضاة الله، أي: هلاكاً في نصر الدين وهذا أعلى درجات الإيمان؛ لأن النفس أغلى ما عند الإنسان<sup>(٢)</sup>.

٥. المؤمنون المكلفون.

قال تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يَتَذَكَّرُونَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وهذه آية وجوب الحج عند الجمهور<sup>(٣)</sup>، فحج المسلمون وقعد الكفار، ثم تمم الله ذلك بقوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنين] بمفهوم المخالفة أن من آمن هو الذي يحج بيت الله.

٦. المؤمنون أتباع محمد وإبراهيم عليهما السلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨].

وهم المؤمنون<sup>(٥)</sup>، ويخبر الله تعالى أن أولى الناس به، محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه، وأتباع الخليل قبل محمد صلى الله

قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩].

٣. المؤمنون المؤيدون بالملائكة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْوُفُوتَانَ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

ونظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم<sup>(١)</sup>.

٤. المؤمنون المجاهدون.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٨/١٣.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢/٢٧٣.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/٨١.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣/٢٧٥.

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري ٦/٤٩٩.

عليه وسلم (١).

ثانيًا: المنافقون

وهذا صنف أشد خطرًا على الأمة الإسلامية من الكفار، فهو صنف يظهر الإسلام، ويطن الكفر ويصعب على المسلمين تمييزه، وقد وردت كلمة الناس في هذا المعنى في كتاب الله تعالى، ومنها:

١. المنافقون المظهرون إيمانهم.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

قال الطبري: وأجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق، وأن هذه الصفة صفتهم (٢).

٢. المنافقون المشككون للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢].

سيقول الجاهل من الناس، وهم اليهود وأهل النفاق، وإنما سماهم الله عز وجل سفهاء؛ لأنهم سفهوا الحق، فتجاهلت أحبار اليهود، وتعاضمت جهالتهم وأهل الغباء منهم، عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ كان من العرب ولم يكن من بني

إسرائيل، وتحير المنافقون فتبدلوا (٣).

٣. المنافقون المخاصمون.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ أَنَّهُ مِنَ الَّذِينَ فِي الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

نزلت في نفر من المنافقين تكلموا في خيب، وأصحابه الذين قتلوا بالرجيع وعابوهم (٤).

ثالثًا: الكافرون

وهذا صنف من الناس قد أعلن عداوته للمسلمين وجاهر بها، وإن كان خطيرًا فهو أقل خطرًا من المنافقين لمعرفة المسلمين به، وقد وردت لفظة الناس بهذا المعنى في عدة مواطن من كتاب الله تعالى منها:

١. الكافرون باتخاذ الأنداد.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ رَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦].

يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا له أندادًا، أي: أمثالا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ١٢٩/٣، الكشاف، الزمخشري ٢٢٣/١.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥٦٢/١.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٩٦٨.

(٢) انظر: جامع البيان ٢٦٨/١.

اشترى الحياة الدنيا بالآخرة، فكانت أعمالهم للدنيا وزيتها، فلا يسألون ربهم إلا متاعها، ولا حظ لهم في ثواب الله، ولا نصيب لهم في جناته وكريم ما أعد لأوليائه<sup>(٣)</sup>، وتوضح الآيات أن المقسم إلى الفريقين جميع الناس من المسلمين والمشركين؛ لأن الآية نزلت قبل تحجير الحج على المشركين بأية براءة، فيتعين أن المراد بمن ليس له في الآخرة من خلاق هم المشركون؛ لأن المسلمين لا يهملون الدعاء لخير الآخرة ما بلغت بهم الغفلة، فالمقصود من الآية التعريض بدم حالة المشركين، فإنهم لا يؤمنون بالحياة الآخرة<sup>(٤)</sup>.

٣. الكافرون يوم القيامة المتبرثون من الأصنام.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦].

وإذا جمع الناس يوم القيامة لموقف الحساب، كانت هذه الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء، لأنهم يتبرؤون منهم ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ ومعنى قوله تعالى ذكره: وكانت آلهتهم التي يعبدونها في الدنيا بعبادتهم جاحدين، لأنهم يقولون يوم القيامة: ما أمرناهم بعبادتنا، ولا شعرنا بعبادتهم إيانا، تيرانا إليك منهم يا ربنا<sup>(٥)</sup>.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٤/ ٢٠١.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ١/ ٢٤٧.

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٢/ ٩٦.

ضد له ولا ند له، ولا شريك معه<sup>(١)</sup>، تبين هذه الآية أن سبب الكفر هو اتخاذ الأنداد من دون الله تعالى، وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك)<sup>(٢)</sup>.

٢. الكافرون بالآخرة.

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَنَا مِنَ الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

يعني بذلك جل ثناؤه: فإذا قضيتم مناسككم أيها المؤمنون فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً، وارغبوا إليه فيما لديه من خير الدنيا والآخرة بابتهاج وتمسك، واجعلوا أعمالكم لوجهه خالصاً ولطلب مرضاته، وقولوا: ﴿رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

تبين لنا الآيات صنفين من الناس في الدعاء فيحذرنا الله تعالى أن نكون ممن

(١) انظر: المصدر السابق ١/ ٤٧٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: (فلا تجعلوا لله أنداداً)، ١٨/ ٦، رقم ٤٤٧٧، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، ١/ ١٤١، رقم ٥٢.

صفات الناس

إن من رحمة الله تعالى بخلقه أنه جعل لكل مخلوق من مخلوقاته صفات يتميز بها عن غيره، فصفات الإنسان تختلف عن صفات الحيوان، والنبات والجن وغيره من المخلوقات، والناس رغم اتفاقهم في كثير من الصفات إلا أنهم مختلفون في بعض منها، وللناس صفات فطرية، وأخرى مكتسبة، وهي على النحو الآتي:

أولاً: الصفات الفطرية

١. هداية الفطرة.

قال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

صنعة الله التي خلق الناس عليها، أي: فطر الله الناس على ذلك فطرة، والمقصود بالفطرة هو الإسلام مذ خلقهم الله من آدم جميعاً<sup>(٣)</sup>.

وقد أخرج الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة

٤. الكافرون المجادلون بغير علم من الناس.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣].

يقول تعالى ذامًا لمن كذب بالبعث، وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى، مُعْرِضًا عما أنزل الله على أنبيائه، متبعًا في قوله وإنكاره وكفره كل شيطان مرید من الإنس والجن، وهذا حال أهل الضلال والبدع المعرضين عن الحق المتبعين للباطل؛ يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين، ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة، الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء<sup>(١)</sup>، والآية نزلت في النضر بن الحارث الذي قال: إن الله عز وجل غير قادر على إحياء من قد بلي وعاد تراباً<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ٣٩٤.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٥/ ١٢.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٠/ ٩٧.

كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي قسأه لؤن بيه والأرحام إن الله كان عليكم قريباً ﴿[النساء: ١]﴾.

ينبه تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عليه السلام، وأنه خلق منه زوجة حواء، ثم انتشر الناس منهما<sup>(٣)</sup>، والخير في قوله: ﴿خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ مستعمل كناية عن المساواة في أصل النوع الإنساني ليتوصل من ذلك إلى إرادة اكتساب الفضائل والمزايا التي ترفع بعض الناس على بعض<sup>(٤)</sup>.

٤. اختلاف اللون واللسان.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ النَّهَارَ وَالنَّجْمَ وَاللَّوْنُكَرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّعَالَمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

الأسنة: اللغات، أو أجناس النطق وأشكاله، خالف عز وعلا بين هذه الأشياء حتى لا تكاد تسمع منطقيين متفقين في همس واحد، ولا جهازة، ولا جدّة، ولا رخاوة، ولا فصاحة، ولا لكتية، ولا نظم، ولا أسلوب، ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله، وكذلك الصور وتخطيطها، والألوان وتنوعها، واختلاف ذلك وقع التعارف، وإلا فلو اتفقت وتساكلت وكانت ضرباً واحداً لوقع التجاهل والالتباس، ولتعتلت مصالح كثيرة، وربما رأيت توأمين يشتهبان في الحلية، فيعروك الخطأ في التمييز بينهما،

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٥٢٤.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٦/ ٢٦١.

تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء؟<sup>(١)</sup>.  
٢. النسيان.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ قَنُوسٍ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

ولقد وصينا آدم وأمرناه، وعهدنا إليه عهداً ليقوم به فالتزمه وأذعن له وانقاد وعزم على القيام به، ومع ذلك نسي ما أمر به وانتقضت عزيمته المحكمة، فجرى عليه ما جرى، فصار عبرة لذريته، وصارت طبائعهم مثل طبيعته، نسي آدم فنسيت ذريته، وخطيء فخطئوا، ولم يثبت على العزم المؤكد، وهم كذلك، ويادر بالتوبة من خطيئته، وأقر بها واعترف، ففغرت له<sup>(٢)</sup>، ومن المعلوم أن آدم عليه السلام هو أبو الناس والبشر جميعاً.  
٣. الأدمية والمساواة.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، ٢/ ١٠٠، رقم ١٣٨٣ صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم ٢٦٥٨.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥١٤.

وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلي، وفي ذلك آية بينة حيث ولدوا من أب واحد، وفرعوا من أصل فذ، وهم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله مختلفون متفاوتون<sup>(١)</sup>.  
٥. حب الشهوات.

قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وصياغة الفعل للمجهول هنا تشير إلى أن تركيبهم الفطري قد تضمن هذا الميل؛ فهو محبب ومزين، وهذا تقرير للواقع من أحد جانبيه، ففي الإنسان هذا الميل إلى هذه الشهوات، وهو جزء من تكوينه الأصيل، لا حاجة إلى إنكاره، ولا إلى استنكاره في ذاته، فهو ضروري للحياة البشرية كي تتأصل وتنمو وتطرد كما أسلفنا.

ولكن الواقع يشهد كذلك بأن في فطرة الإنسان جانباً آخر يوازن ذلك الميل، ويحرس الإنسان أن يستغرق في ذلك الجانب وحده؛ وأن يفقد قوة النفخة العلوية أو مدلولها وإيحاءها، هذا الجانب الآخر هو جانب الاستعداد للتسامي، والاستعداد لضبط النفس ووقفها عند الحد السليم من

مزاولة هذه الشهوات ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾، فهي شهوات مستحبة مستلذة؛ وليست مستقدرة ولا كريهة، والتعبير لا يدعو إلى استقذارها وكرهيتها؛ إنما يدعو فقط إلى معرفة طبيعتها وبواعثها، ووضعها في مكانها لا تتعداه، ولا تطغى على ما هو أكرم في الحياة وأعلى. والتطلع إلى آفاق أخرى بعد أخذ الضروري من تلك الشهوات في غير استغراق ولا إغراق!

وهنا يمتاز الإسلام بمراعاته للفطرة البشرية وقبولها بواقعها، ومحاولة تهذيبها ورفعها، لا كبتها وقمعها<sup>(٢)</sup>.

ويدخل ضمن هذه الشهوات حُبُّ الآباء والزوجة والأولاد.

### ٦. الهلع والجزع والمنع.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۗ﴾ [المعارج: ١٩ - ٢١].

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ ثم فسره بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ أي: إذا أصابه الضر فرع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ أي: إذا حصلت

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ١/ ٣٧٤ - ٣٧٣.

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري ٣/ ٤٧٩.

هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿البقرة: ٣١﴾.  
وقوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن:  
٤].

والحق جل جلاله لم يكن يترك آدم في حياته على الأرض دون أن يعلمه ما يضمن استمرار حياته وحياة أولاده، يعلمه على الأقل بدايات، ثم بعد ذلك تتطور هذه البدايات بما يكشفه الله من علمه لخلقه<sup>(٣)</sup>، إن آدم عليه السلام لم يكن بطبعه عالمًا، بل اكتسب هذا العلم من الله تعالى الذي علمه الأسماء كلها، وبهذا العلم كان التكريم والتشريف لآدم عليه السلام.  
٢. الزواج.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

أي: خلق لكم من جنسكم إناثا يكن لكم أزواجا<sup>(٤)</sup>.

هذه آية تدل على أن الزواج آية من آيات الله تعالى، وهو آية لقوم يتفكرون فإن المعنى في هذه الآية أناس يتفكرون ويتدبرون الآيات، وحقيقة الأمر أن نظرة الزواج تختلف من إنسان لإنسان آخر فبعض الناس يقدم على الزواج والبعض

له نعمة من الله بخل بها على غيره، ومنع حق الله فيها<sup>(١)</sup>.  
٧. الأكل.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا وَمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

وانظر إلى دقة الأداء القرآني في ترتيب الأحكام بعضها على بعض، فالإنسان المخلوق لله في الأرض المسخرة له بكل ما فيها، له حياة يجب أن يحافظ عليها، وتبقى الحياة ببقاء الرزق في الاقتيات من مأكّل ومشرب، وكذلك يبقى النوع الإنساني بالتزواج، وتكلم الله في رزق الاقتيات، فجعله للناس جميعًا عندما قال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا وَمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨]<sup>(٢)</sup>.

فالأمر هنا بالأكل لم يكن غاية في حد ذاته بل هو وسيلة للحفاظ على النوع، وأداء الواجبات المنوط بهم، وكذلك فيه إرشاد باختيار نوع الأكل ومجانبة الشيطان في تحريم وتحليل الطعام والشراب.

ثانيًا: الصفات المكتسبة:

١. العلم والتعلم.

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ

(٣) انظر: تفسير الشعراوي ١/ ٥٧.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٣٠٩.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/ ٢٢٦.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي ١/ ٤٨٥.

الأخر يعرض ويحجم، وعليه فالزواج صفة تكتسب اكتساباً.

### حال أكثر الناس

إن المتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن القرآن الكريم ذكر أحوال الناس في صور متعددة، ولعل هذا يتطابق مع تنوع الناس واختلافهم، فناسب أن تتعدد أحوالهم، وهي في القرآن على النحو الآتي:

#### أولاً: الكفر:

وكفر الناس في القرآن الكريم جاء على عدة أنواع منها:

١. كفر الجحود والإنكار للقرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩].

يقول ذكره: ولقد بينا للناس في هذا القرآن من كل مثل، احتجاجاً بذلك كله عليهم، وتذكيراً لهم، وتنبهها على الحق ليتبعوه ويعملوا به، ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾، فأبى أكثر الناس إلا جحوداً للحق، وإنكاراً للحجج الله وأدلتته<sup>(١)</sup>.

٢. كفر النفاق.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيُؤْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

النفاق: هو إظهار الخير وإسرار الشر، وهو أنواع: اعتقادي، وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي وهو من أكبر

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٧/٥٤٨.

لَفَنَسِقُونَ ﴿المائدة: ٤٩﴾.

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْيَهُودِ لَتَارْكُوا الْعَمَلَ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَلخارجون عن طاعته إلى معصيته (٣). والفاسيقون أي: المتمردون في الكفر المصرون عليه الخارجون عن الحدود المعهودة (٤).

ولا تعارض هنا في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَنَسِقُونَ﴾ وبين تفسير الإمام الطبري بأن الناس هنا اليهود، وذلك لأن اليهود صنف كبير من الناس، ذكر مرارًا وتكرارًا في القرآن الكريم، ليؤكد على حقيقتهم وطبعهم، وهو الفسق.

ثالثًا: الغفلة:

قال تعالى: ﴿قَالِ يَوْمَ تَنْجِيكَ يَدْيَكَ لِيَكُونَ لِمَن خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

إن بعض بني إسرائيل شكوا في موت فرعون، فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه بجسده بلا روح، وعليه درعه المعروفة به على نجوة من الأرض وهو المكان المرتفع، ليحققوا موته وهلاكه... وقوله تعالى: ﴿لَغَفِلُونَ﴾ أي: لا يتعظون بها،

الذنوب، والمنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه، ولهذا نبه الله سبحانه على صفات المنافقين لثلاثي عشر بظواهر أمرهم المؤمنون، فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم، ومن اعتقاد إيمانهم، وهم كفار في نفس الأمر، وهذا من المحذورات الكبار، أن يظن بأهل الفجور خير (١).

٣. الكفر بقاء الله تعالى.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم: ٨].

اللام للتوكيد، والتقدير: لكافرون بقاء ربهم، على التقديم والتأخير؛ أي: لكافرون بالبعث بعد الموت (٢)، ولقاء الله تعالى يكون بالبعث بعد الموت، فالكفر بقاء الله تعالى إنكارًا للبعث.

ثانيًا: الفسق:

قال تعالى: ﴿وَإِن أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٧٦/١-١٧٧.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي ٩/١٤.

(٣) انظر: جامع البيان / ٣٩٣.

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٤٧/٣.

مرسل، ولا ملك مقرب، وهي من الأمور التي أخفاها الله عن الخلق، لكمال حكمته وسعة علمه<sup>(٣)</sup>.

٢. لا يعلمون حكمة الله من الأشياء.

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اشْتَرَتْهُ مِنْ مَضْرٍ لِأُمَّرَأَتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: «لا يدرون حكمته في خلقه، وتلطفه لما يريد»<sup>(٤)</sup>.

٣. لا يعلمون حقيقة جهلهم بالبعث.

قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٣٨].

يقول تعالى مخبراً عن المشركين: أنهم حلفوا فأقسموا ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: اجتهدوا في الحلف وغلظوا الأيمان على أنه ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ أي: استبعدوا ذلك، فكذبوا الرسل في إخبارهم لهم بذلك، وحلفوا على نقيضه، فقال تعالى مكذباً لهم ورداً عليهم: ﴿بَلَى﴾ أي: بلى سيكون ذلك، ﴿وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ أي: لا بد منه، ﴿وَلَكِنَّ

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٣١٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/٣٧٨.

ولا يعتبرون<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَيْدًا مِّنَ النَّاسِ عَن آيَاتِنَا لَظَفِيلُونَ﴾، وهذا القول يوضح أن هناك من يغفل عن الآيات، وهناك من لا يغفل عنها، وينظر إلى تلك الآيات ويتأملها ويتدبرها، ويتساءل عن جدوى كل شيء، فيصل إلى ابتكارات واختراعات ينتفع بها الإنسان، أذن بميلادها عند البحث عنها؛ لتستبين عظمة الله في خلقه<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: لا يعلمون:

إن المتدبر في كتاب الله يجد أن الله تعالى وصف الناس في بعض الآيات بعدم العلم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ومن هذه المواضع ما يلي:

١. لا يعلمون وقت الساعة.

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفِهَا إِلَّا هُوَ نُنزِلُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

ولم يعلموا أنك - لكمال علمك بربك، غير مبال بالسؤال عنها، ولا حريص على ذلك، فلم لا يقتدون بك، ويكفون عن الاستحفاء عن هذا السؤال الخالي من المصلحة المتعذر علمه، فإنه لا يعلمها نبي

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/٢٩٤.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي ٨/٤٠٦٩.

الدين والفضل لم يخولنا ذلك؛ لأن من أحسن إليه فلا يعذبه.

فرد الله عليهم قولهم وما احتجوا به من الغنى، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ أي: يوسع لمن يشاء ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: إن الله هو الذي يفاضل بين عباده في الأرزاق امتحاناً لهم، فلا يدل شيء من ذلك على ما في العواقب، فسعة الرزق في الدنيا لا تدل على سعادة الآخرة، فلا تظنوا أموالكم وأولادكم تنغي عنكم غداً شيئاً.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا يعلمون هذا لأنهم لا يتأملون<sup>(٣)</sup>.

٦. لا يعلمون حقيقة خلق السماوات والأرض.

يقول تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

يقول تعالى ذكره: لا ابتداء السماوات والأرض، وإنشاؤها من غير شيء، أعظم أيها الناس عندكم إن كتتم مستعظمي خلق الناس وإنشائهم من غير شيء من خلق الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق جميع ذلك هين على الله<sup>(٤)</sup>.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٠٥/١٤.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ٤٠٥/٢١.

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: فلجهلهم يخالفون الرسل ويقعون في الكفر<sup>(١)</sup>.

٤. لا يعلمون إرسال محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

يقول تعالى ذكره: وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكننا أرسلناك كافة للناس أجمعين العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود، بشيراً لمن أطاعك، ونذيراً لمن كذبك ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر<sup>(٢)</sup>.

٥. لا يعلمون حقيقة التفاضل.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٣٦].

وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيْبٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٤].

وقوله: ﴿وَقَالُوا لَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥].

أي: فضلنا عليكم بالأموال والأولاد، ولو لم يكن ريكم راضياً بما نحن عليه من

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥٧١/٤.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٤٠٥/٢٠.

خامساً: لا يشكرون:

إن الله تعالى أسبغ علينا نعمه ظاهرة، وباطنة، وحري بنا معشر الناس أن نقابل النعم بالشكر، ولقد بين القرآن أن أكثر الناس لا يشكرون في مواطن عديدة من كتاب الله تعالى منها:

١. لا يشكرون فضل الله ونعمته بتأخير العذاب.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ نُورًا وَالنَّارَ لَكُمْ لَعْنًا ۗ وَإِنَّ أَنْتُمْ لِأَكْثَرُ النَّاسِ لَا تَشْكُرُونَ﴾ [النمل: ٧٣].

أي: لذو أفضال وإنعام على كافة الناس، ومن جملة نعمه تأخير عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب، ولكن أكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه، بل يستعجلون بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء<sup>(١)</sup>.

وينبه عباده على سعة جوده وكثرة أفضاله ويحثهم على شكرها، ومع هذا فأكثر الناس قد أعرضوا عن الشكر واشتغلوا بالنعم عن المنعم<sup>(٢)</sup>.

٢. لا يشكرون الهداية للتوحيد و ملة الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّيَ الْأَعْلَى﴾

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢٩٨/٦.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٦٠٩.

وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ إذ جعلنا أنبياء ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ إذ جعلنا الرسل إليهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ على نعمة التوحيد والإيمان<sup>(٣)</sup>.

٣. لا يشكرون نعمة تسخير بعض المخلوقات للناس.

يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلًا لِتَسْكُنُوا فِيهَا وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١].

يقول تعالى ممتناً على خلقه، بما جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه ويستريحون من حركات ترددهم في المعاش بالنهار، وجعل النهار مبصراً، أي: مضيئاً؛ ليتصرفوا فيه بالأسفار، وقطع الأقطار، والتمكن من الصناعات ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: لا يقومون بشكر نعم الله عليهم<sup>(٤)</sup>.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي ١٩١/٩.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٥٥/٧.

المسلمين<sup>(١)</sup>.

٢. اتباع الصراط المستقيم.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] هذه آية عظيمة فإنه لما نهى وأمر حذر هنا عن اتباع غير سبيله، فأمر فيها باتباع طريقه<sup>(٢)</sup>.

٣. اتباع محمد صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿قَدْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِيَّايَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

يقول تعالى ذكره لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم: قل، يا محمد للناس كلهم: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من الرسل، مرسلًا إلى بعض الناس دون بعض، فمن كان منهم أرسل كذلك فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض، ولكنها إلى جميعكم. وأما قوله: ﴿وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ فاهتدوا به أيها

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٩٦٨.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ص ١٣٧/٧.

## اتباع الناس

إن المتأمل في كتاب الله عز وجل يجد أن الناس والأقوام في اتباعهم على حالتين: الأولى: الاتباع المحمود، وذلك باتباع الحق وأهله من الرسل والأنبياء، كذلك اتباع أوامر الله تعالى، فجميع الأنبياء والرسل أرسلوا لقومهم، وأرشدوهم لعبادة الله تعالى.

الثانية: الاتباع المذموم، وذلك باتباع الباطل وأهله من الشيطان وأعداء الإسلام، فنهج أعداء الله تعالى الصد عن دين الله ومحاربتة، وسنلقي إن شاء الله الضوء على هذا المحور في هذا المبحث، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: اتباع الناس المحمود:

١. اتباع إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿إِنك أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِي اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَوِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨] يخبر الله تعالى أن أولى الناس بإبراهيم محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه، واتباع الخليل، قبل محمد صلى الله عليه وسلم.

وأما اليهود والنصارى، والمشركون فإبراهيم بريء منهم ومن ولايتهم؛ لأن دينه الحنيفية السمحة التي فيها الإيمان بجميع الرسل وجميع الكتب، وهذه خصيصة

لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة<sup>(٣)</sup>.

ثانيًا: اتباع الناس المذموم:

#### ١. اتباع الشيطان.

لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَجِدُ فِي اللَّهِ يَغْيِرَ عَلَيْهِ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣].

يريد شياطين الإنس وهم رؤساء الكفار الذين يدعون من دونهم إلى الكفر وقد يكون المراد بذلك إبليس وجنوده... كتب على من يتبع الشيطان أنه من تولى الشيطان أضله عن الجنة وهداه إلى النار، وذلك زجر منه تعالى فكأنه تعالى قال: كتب على من هذا حاله أنه يصير أهلاً لهذا الوعيد<sup>(٤)</sup>.

#### ٢. اتباع الهوى.

لقوله تعالى: ﴿يَدَّأُوذُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

ولا تؤثر هواك في قضائك بينهم على الحق والعدل فيه، فتجور عن الحق ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: فيميل بك اتباعك هواك في قضائك على العدل والعمل بالحق عن طريق الله الذي جعله لأهل الإيمان فيه، فتكون من الهالكين بضلالك عن سبيل

الناس، واعملوا بما أمركم أن تعملوا به من طاعة الله؛ لكي تهتدوا فترشدوا وتصيبوا الحق في اتباعكم إياه<sup>(١)</sup>.

#### ٤. اتباع الحق.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ [محمد: ٣].

وأما ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بما أنزل الله على رسله عموماً، وعلى محمد صلى الله عليه وسلم خصوصاً كفر الله عنهم صغار الذنوب، وكبارها، وإذا كفرت سيئاتهم، نجوا من عذاب الدنيا والآخرة، ﴿وَأَصْلَحَ بِهَاجِرِهِمْ﴾، أي: أصلح دينهم ودنياهم، وقلوبهم وأعمالهم، وأصلح ثوابهم، بتنميتهم وتزكيتهم، وأصلح جميع أحوالهم، والسبب في ذلك أنهم: ﴿اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾ الذي هو الصدق واليقين، وما اشتمل عليه هذا القرآن العظيم الصادر ﴿مِنَ رَبِّهِمْ﴾ الذي رباهم بنعمته، ودبرهم بلطفه فرباهم تعالى بالحق فاتبعوه، فصلحت أمورهم<sup>(٢)</sup>.

#### ٥. اتباع القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَآتِوهُ وَاثْقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]

فيه الدعوة إلى اتباع القرآن ووصفه بالبركة

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٣/١٧٠-١٧٢.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٧٨٤.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/٣٦٩.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ١/٣١٤.

ومعنى ﴿الْفَاؤُونَ﴾ جمع غاؤ، وهو الضال، وهؤلاء يتبعون الشعراء؛ لأنهم يؤيدون مذهبهم في الحياة بما يقولون من أشعار؛ ولأنهم لا يحكم منطقهم مبدأ ولا خلق، بل هواهم هو الذي يحكم المبدأ والخلق، فإن أحبوا مدحوا، وإن كرهوا ذموا<sup>(٥)</sup>.

٦. اتباع الآباء والأجداد.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنْبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْا كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١] وإذا قيل لهؤلاء الذين يجادلون في توحيد الله جهلاً منهم بعظمة الله: اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله، وصدقوا به، فإنه يفرق بين المحق منا والمبطل، ويفصل بين الضال والمهتدي، فقالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من الأديان، فإنهم كانوا أهل حق<sup>(٦)</sup>.

الله<sup>(١)</sup>، وهذا الخطاب ليس لنبي الله داود وحده؛ بل هو لكل من وجد في مكانه فعلية بالعدل لا الجور.

٣. اتباع وطاعة السادات والكبراء.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٧].

أي: اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء، وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئاً، وأنهم على شيء فإذا هم ليسوا على شيء<sup>(٢)</sup>.

٤. اتباع السحرة.

قال تعالى: ﴿لَعَلَّنَا نَبِغُ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٠].

ورجوا اتباع السحرة، أي: اتباع ما يؤيده سحر السحرة وهو إبطال دين ما جاء به موسى... كناية عن رجاء تأييدهم في إنكار رسالة موسى فلا يتبعونه<sup>(٣)</sup>، واتباع السحرة ليس معناه تتبعهم في السحر إنما أراد تتبعهم في نصره ديننا وملتنا والإبطال على معارضتنا<sup>(٤)</sup>، فإن اتباع السحرة فيه إعلان الحرب على الله ورسله وأوليائه، فاتباعهم فيه الهلاك والخسران.

٥. اتباع الشعراء.

قال تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاؤُونَ﴾

[الشعراء: ٢٢٤].

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٨٩/٢١.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٨٤/٦.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٢٦/١٩.

(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٢٧٧/٤.

(٥) انظر: تفسير الشعراوي ١٠/٦٦٩٣.

(٦) انظر: جامع البيان، الطبري ١٤٩/٢٠.

نداءات الله تعالى للناس

النداء من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم ليوصل للناس ما يريد وذلك باستخدامه حرف النداء يا، وقد استفتح القرآن الكريم بعض سوره بالنداء، وذلك في عشر سور، منها سورتين افتتحت بالنداء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، وذلك في سورة النساء يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وفي سورة الحج يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] (١).

أولاً: تكرار النداءات:

لقد تكرر النداء في سور متعددة من القرآن الكريم نحو عشرين مرة، منها ما تكرر في السور المكية، ومنها ما تكرر في السور المدنية، وقد جاءت على النحو الآتي:

تكرار النداء في السور المكية:

تكرر النداء بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ في السور المكية عشر مرات في خمس سور مكية وهي:

• الأعراف مرة واحدة.

- سورة يونس تكرر النداء بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فيها أربع مرات.
- سورة النمل مرة واحدة.
- سورة لقمان مرة واحدة.
- سورة فاطر ثلاث مرات.

تكرار النداء في السور المدنية:

تكرر النداء بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ في السور المدنية عشر مرات في أربع سور مدنية وهي:

- سورة البقرة تكرر النداء بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ مرتين.
- سورة النساء تكرر النداء بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ثلاث مرات.
- سورة الحج أربع مرات.
- سورة الحجرات مرة واحدة.

حكم النداءات:

إن تعدد النداء للناس، أو كثرة النداء للناس في القرآن الكريم، لم يرد إلا لحكم عظيمة، لما للنداء من أهمية في الأسلوب القرآني و صيغة النداء للناس الواردة في القرآن هي ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ويا حرف نداء والمنادى أي وهو اسم مفرد مبني على الضم، وها حرف تنبيه مقحم بين المنادى وصفته (٢).

وحرفا النداء والتنبيه جاءا ليلفتا الانتباه لما سيأتي بعدهما من أوامر ونواهي، ومن

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي ١ / ١٧٨.

(٢) انظر: فتح القدير، الشوكاني ١ / ٦٤.

السور المكية التي تدعو إلى غرس الإيمان والتوحيد والعقيدة.

٢. التذكير بالتقوى واليوم الآخر.

لقله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ انْتِقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْفُرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

يقول تعالى ذكره: أيها المشركون من قريش، اتقوا الله، وخافوا أن يحل بكم سخطه... لأن الأمر يصير هنالك بيد من لا يغالب، ولا تنفع عنده الشفاعة والوسائل، إلا وسيلة من صالح الأعمال التي أسلفها في الدنيا. وقوله: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يقول: اعلموا أن مجيء هذا اليوم حق، وذلك أن الله قد وعد عباده ولا خلف لوعده<sup>(٢)</sup>.

٣. ترسيخ مفهوم التوحيد.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآذِنُوا تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيد في أفراد العبادة له، كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليفرد بالعبادة، ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنناد والأوثان؛ ولهذا قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا

خلالها تظهر بعض الحكم، وبعد الغوص في معاني وسياقات القرآن الجليلة نقف على بعض الحكم التي تم التوصل إليها خلال هذا البحث ومنها:

حكم النداءات في السور المكية:

١. الأمر بالإيمان.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنْ رَسُورُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الَّذِي يَأْتِيكُمْ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] يقول

تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ﴾ وهذا خطاب للأحمر والأسود، والعربي والعجمي، ﴿إِنْ رَسُورُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة.

وقوله: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ﴾ أخبرهم أنه رسول الله إليهم، ثم أمرهم باتباعه والإيمان به<sup>(١)</sup>.

جاء النداء ليشمل جميع الناس كما بينت الآيات السابقة؛ ليدعوهم ويأمرهم بالإيمان بالله تعالى، وهذا يتفق مع خصائص

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٨٩/٣-٤٩١/٣.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٥٩/٢٠.

هُوَ فَآفٌ تُؤَفِّكُونَ ﴿١﴾ أي: فكيف تؤفكون (تصرفون) بعد هذا البيان، ووضوح هذا البرهان، وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان؟! (١).

والمتمامل في هذه الآية يجد أنها اشتملت على أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الألوهية المتمثل في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفٌ تُؤَفِّكُونَ﴾ وتوحيد الربوبية المتمثل في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ وقضية الخلق والرزق من قضايا توحيد الربوبية، أما توحيد الأسماء والصفات فتمثل في قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾.

#### ٤. إظهار الإعجاز والمعجزة.

قال تعالى: ﴿وَوَيْتَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦]، قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ﴾ أي: قال سليمان لبني إسرائيل على جهة الشكر لنعم الله: ﴿عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ أي: تفضل الله علينا على ما ورثنا من داود من العلم والنبوة والخلافة في الأرض، في أن فهمنا من أصوات الطير المعاني التي في نفوسها (٢)، وإن علم منطق الطير من المعجزات التي

أكرم الله نبيه سليمان بها.

#### ٥. بيان حاجة الناس لخالقهم.

قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ أَنْتَهُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

ذكر سبحانه افتقار خلقه إليه ومزيد حاجتهم إلى فضله فقال: ﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ أَنْتَهُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: المحتاجون إليه في جميع أمور الدين والدنيا فهم الفقراء إليه على الإطلاق ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ على الإطلاق ﴿الْحَمِيدُ﴾ أي: المستحق للحمد من عباده بإحسانه إليهم (٣).

#### ٦. بيان الجزاء والعاقبة.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَجَسَّهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْبِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٢٣].

أي: غاية ما تؤملون بغيبكم، وشروءكم عن الإخلاص لله، أن تناولوا شيئاً من حطام الدنيا وجاهاها النزر اليسير الذي سينقضي سريعاً، ويمضي جميعاً، ثم تنتقلون عنه بالرغم. ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ في يوم القيامة (٤).

ولما ذكر سبحانه أن هؤلاء المتقدم ذكرهم يبغون في الأرض بغير الحق ذكر

(٣) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٤/٤٢٦.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٣٦١.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/٥٣٣.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٦٤/١٣.

٢. الأمر بالعبادة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وهذا أمر عام لكل الناس بأمر عام وهو العبادة الجامعة؛ لامثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، فأمرهم تعالى بما خلقهم له (٤).

٣. الأمر بأكل الطيبات و النهي عن اتباع الشيطان.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

لما بين تعالى أنه لا إله إلا هو، وأنه المستقل بالخلق، شرع يبين أنه الرزاق لجميع خلقه، فذكر في مقام الامتنان أنه أباح لهم أن يأكلوا مما في الأرض في حال كونه حلالاً من الله طيباً، أي: مستطاباً في نفسه غير ضار للأبدان ولا للعقول، ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان، وهي: طرائقه ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه من تحريم البحائر والسوائب والوسائل ونحوها مما زينه لهم في جاهليتهم (٥).

٤. التذكير بالتقوى.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ

عاقبة البغي وسوء مغبته (١).

حكم تكرار النداءات في السور المدنية: بيان أصل الخلقة والنشأة والغاية منها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس إنا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال، وماء أنثى من النساء (٢).

ويخبر تعالى أنه خلق بني آدم من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله تعالى بث منهما رجالاً كثيراً ونساء، وفرقهم، وجعلهم شعوباً وقبائل أي: قبائل صغاراً وكباراً، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوباً وقبائل؛ لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ولحقوق الأنساب، ولكن الكرم بالتقوى، فأكرمهم عند الله أتقاهم (٣).

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٢/ ٥٤٠.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٢/ ٣٠٩.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٨٠٢.

(٤) انظر: المصدر السابق ص ٤٤.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/ ٤٧٨.

إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ [الحج: ١]،  
أمر جل وعلا في أول هذه السورة الكريمة  
الناس بتقواه: بامثال أمره، واجتناب نهيه،  
وبين لهم أن زلزلة الساعة شيء عظيم (١).  
٥. التذكير بالبعث.

قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ  
فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ  
مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ  
وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّينَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا  
نَشَاءُ إِنَّكَ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ  
لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَنْوَفِّقُ  
وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا  
يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَنَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً  
فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ  
مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بَهِيحٌ ﴿٥﴾ [الحج: ٥].

يا أيها الناس إن كنتم في شك من الإعادة  
﴿فإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي: خلقنا أباكم الذي هو  
أصل البشر، يعني: آدم عليه السلام ﴿وَمِن  
تُرَابٍ﴾ ثم خلقنا ذريته (٢)، ووضح من  
تقلبكم من حالة إلى حالة في الأرحام، وبعد  
خروجكم إلى الدنيا، وأنتم تعلمون ذلك من  
أنفسكم، وتشاهدون الأرض على صفة من  
الهمود والموت إلى حين نزول الماء فنحيي  
ونخرج أنواع النبات وضروب الثمرات  
كل ذلك يسقى بماء واحد ذلك بأن الله

هو الحق وأنه يحيي الموتى، وكما أحياكم  
أولاً وأخرجكم من العدم إلى الوجود وأحيا  
الأرض بعد موتها وهمودها، كذلك تأتي  
الساعة من غير ريب ولا شك، ويبعثكم لما  
وعدكم من حسابكم وجزائكم (٣).

٦. ضرب الأمثال في عجز الأصنام.  
قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ ضَرِبْ مَثَلٌ  
فَأَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن  
دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ  
وَإِن يَسْتَبِهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ  
ضَعْفَ الطَّلَبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ [الحج: ٧٣].

قال ابن كثير: (يقول تعالى منها على  
حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها:  
﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ ضَرِبْ مَثَلٌ﴾ أي: لما يعبد  
الجاهلون بالله المشركون به ﴿فَأَسْتَمِعُوا  
لَهُ﴾ أي: أنصتوا وتفهموا ﴿إِنَّ الَّذِينَ  
تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ  
اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ أي: لو اجتمع جميع ما  
تعبدون من الأصنام والأنداد على أن  
يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على  
ذلك (٤).

(٣) انظر: نظم الدرر، البقاعي ١٣٠/٥.  
(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٦٠/٥،  
٤٥٣.

(١) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي ٢٣/٢.  
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي  
٦/١٢.

وسلم: (خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)<sup>(١)</sup>.

ثانياً: العداة بين الناس والجن:

إن علاقة الناس بالجن منذ لحظتها الأولى قائمة على العداة حتى قيام الساعة، وذلك لقوله تعالى: ﴿قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنٌ وَإِنَّ

جِنِّ [الأعراف: ٢٤].

والمراد بالخطاب في ﴿أَهْبِطُوا﴾ آدم، وحواء، وإبليس، والعمدة في العداوة آدم وإبليس<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: تكبر الجن على الناس:

قال تعالى ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥].

وقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

في الآيتين السابقتين يبين الله تعالى أن تكبر إبليس واستعلاءه منعه من السجود وإطاعة أمر الله تبارك وتعالى، والذي منع إبليس من الاستجابة لأمر الله تعالى،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، رقم ٢٩٩٦.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٣٩٩.

## الناس والجن

إن الناس والجن من مخلوقات الله تعالى الذين ورد ذكرهم في كتابه الكريم.

وقد بين سبحانه العلاقة بين الناس والجن من أول لحظة وجد فيها أبو الناس جميعاً، وهو آدم عليه السلام، والناس والجن المخلوقان الوحيدان المكلفان في الأرض، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقوله تعالى: ﴿سَنَفِئُكُمْ لَكُمْ آيَةَ الْفَلَاحِ﴾ [الرحمن: ٣١] وسنلقي من خلال هذا المبحث الضوء على الناس والجن في عدة محاور ومنها:

أولاً: مادة الخلق:

إن طبيعة خلق الناس تختلف عن طبيعة خلق الجن، فالناس خلقوا من الطين والجن خلقوا من النار.

قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٤-١٥].

وقال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم من طريق عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه

والسجود هو ظنه الخاطيء بأنه خير من آدم وذلك بقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

رابعاً: تكريم وتشريف الناس على الجن:

الناس أشرف وأكرم من الجن، وذلك بتشريف الله لأبي البشر آدم وأمر الملائكة وإبليس بالسجود لآدم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

يخبر تعالى عن عداوة إبليس لآدم وذريته، وأن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم؛ إكراماً وتعظيماً؛ وامثالاً لأمر الله<sup>(١)</sup>، فإن تشريف وتكريم الآباء تشريف وتكريم للأبناء.

#### خامساً: زمن الخلق:

إن المتأمل في كتاب الله تعالى يتبين له أن زمن خلق الجن متقدم على خلق الناس، وهذا يفهم من سياق الآيات المتعددة في كتاب الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

فأول من سكن الأرض الجن، فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضاً<sup>(٢)</sup>.

سادساً: الاشتراك في العبادة والتكليف:

بينت الآيات أن الجن والناس المخلوقات المكلفة بالعبادات في الأرض لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

أي: وما خلقت الجن والإنس إلا لأجل العبادة، ولم أرد من جميعهم إلا إياها. فإن قلت: لو كان مريداً للعبادة منهم لكانوا كلهم عباداً. قلت: إنما أراد منهم أن يعبدوه<sup>(٣)</sup>.

سابعاً: التقديم والتأخير:

إن المتدبر في كتاب الله تعالى يجد أن هناك آيات قدم فيها الجن على الإنسان أو الناس، وبعض آيات تقدم فيها الإنسان على الجن مثال ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ٣٠/٤٥٥.

(٣) انظر: الكشاف، الزمخشري ٤/٤٠٨.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٤٧٩.

ثامناً: العلاقة بين الناس والجن:

١. استعاذة الناس واستجارتهم من الجن  
برب الناس.

قال تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾  
[الناس: ٦].

يقول تعالى ذكره لئيبه محمد صلى الله  
عليه وسلم: قل يا محمد أستجير ﴿بِرَبِّي  
النَّاسِ﴾ ١ ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١-٢]،  
وهو ملك جميع الخلق: إنسهم وجنهم.

وقوله: ﴿مِنَ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾  
يعني: من شر الشيطان ﴿الْخَنَّاسِ﴾ الذي  
يخنس مرة ويوسوس أخرى، وإنما يخنس  
فيما ذكر عند ذكر العبد ربه.

وقوله: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ  
النَّاسِ﴾ يعني بذلك: الشيطان  
الوسواس، الذي يوسوس في صدور  
الناس: جنهم وإنسهم<sup>(٤)</sup>، هذا قمة الإيمان  
أن يستعيذ الناس بخالقهم من شر الشيطان  
والجن.

٢. استعاذة واستجارة الناس بالجن.

لا ينبغي أن يكون هناك تواصل، وتعامل  
بين الناس والجن، وذلك لاختلاف الخلقة  
والطبائع، ولقد ذم الله تعالى رجالاً من  
الناس كانت تستعيذ بالجن فزادتهم رهقاً.

يقول تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ  
يُؤَدُّونَ لِرِجَالٍ مِنَ الْجِنَّةِ فَرَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ٧٠٩-٧١١.

صَلَّصَلِي كَالْفَخَّارِ ١١ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنَ  
مَارِجٍ مِّن نَّارٍ [الرحمن: ١٤-١٥].

في الآية الأولى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ  
وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قدم الجن للاهتمام  
بهذا الخبر الغريب عند المشركين الذين  
كانوا يعبدون الجن؛ ليعلموا أن الجن عباد  
لله تعالى<sup>(١)</sup>.

أما تقديم الإنسان على الجان فهو لبيان  
التشريف، وهذا من نعمه تعالى على عباده،  
حيث أراهم من آثار قدرته وبديع صنعته، أنه  
خلق أبا الإنس وهو آدم عليه السلام ﴿مِن  
صَلَّصَلِي كَالْفَخَّارِ﴾ أي: من طين مبلول،  
قد أحكم بله وأتقن حتى جف، فصار له  
صلصلة وصوت يشبه صوت الفخار الذي  
طبخ على النار<sup>(٢)</sup>.

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ أي: أبا الجن، وهو  
إبليس اللعين ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ أي:  
من لهب النار الصافي، أو الذي قد خالطه  
الدخان.

وهذا يدل على شرف عنصر الأدمي  
المخلوق من الطين والتراب، الذي هو  
محل الرزاة والثقل والمنافع، بخلاف  
عنصر الجان وهو النار، التي هي محل  
الخفة والطيش والشر والفساد<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٧/٢٨.

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري ٤/٤٤٤.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي  
ص ٨٢٩.

أي: كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنسان؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا، أي: إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً من البراري وغيرها - كما كان عادة العرب في جاهليتها - يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه، فلما رأت الجن أن الإنسان يعوذون بهم من خوفهم منهم، ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: خوفاً وإرهاباً وذعراً، حتى تبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوداً بهم، كما قال قتادة: أي: إثمًا، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة<sup>(١)</sup>.

وهذا درب من دروب الشرك بالله تعالى أعادنا الله جميعاً من الوقوع به.

٣. الاشتراك في العذاب في حال الكفر.

يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩] أخبر أنه يملأ ناره و جنته كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام البخاري من طريق أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اختصمت الجنة والنار إلى ربهما فقالت الجنة: يا رب ما لها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟! وقالت النار: يعني: أوثرت بالمتكبرين فقال الله تعالى للجنة: أنت رحمتي وقال

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٣٩/٨.

للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها. قال: فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحدًا، وإنه ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها فتقول: هل من مزيد؟ ثلاثًا حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ ويرد بعضها إلى بعض وتقول: قط قط قط<sup>(٢)</sup>.

نستوضح من الآيات السابقة: .

✽ اختلاف أصل الخلقة يؤدي إلى اختلاف الطبائع والصفات عند الناس والجن.

✽ المتدبر للآيات القرآنية يتبين له أن هناك عداوة أزلية بين أبي البشر آدم، وبين أبي الجن إبليس.

✽ اشتراك الناس والجن في العبادة والتكاليف، ميزتهما عن سائر المخلوقات، فمن أدى وأطاع له الجنة، ومن عصى وامتنع فله النار.

✽ الجن مخلوق قبل الإنسان، وسكن الأرض فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء، فاستحقوا عقاب الله تعالى، وكذلك سنة الله في الناس إذا فسدت استحققت العقاب والعذاب.

✽ الناس أكرم وأشرف خلقاً من الجن.

✽ الاستعاذة بالله وحده من الجن، ولا

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب باب ما جاء في قول الله تعالى: (إن رحمة الله قريب من المحسنين)، ١٣٤/٩، رقم ٧٤٤٩.

يجوز للناس الاستعانة بالجن.  
❁ دخول الناس والجن للجنة والنار رغم  
أن الجن خلقوا من النار

موضوعات ذات صلة:

آدم، الإنسان، الجن، الخلق، السياسة